حبيب الله امير الافغان

فينا معاشرُ لم يبنوا لقومهم وان بنى قومهم ما افسدوا عادوا
لا يُرشَدون ولم يرعوا لرشدهم والجهل منهم معًا والغيُّ ميعادُ

كما قال الافوه الازدي . وفينا مَن يقول ما قالهُ ابو مسلم صاحب الدولة

ادركتُ بالحزم والكتمان ما عجزتْ عنهُ ملوك بني مروان اذ جهدوا

هذا شأن ملوك المشرق في هذه الايام بعد ان احتكت ركابهم بركاب اهل المغرب بعضهم ركب متن الغواية فضيَّع ملك آبائهِ واجدادهِ و بعضهم استرشد العقل وتنطَّق الحزم فبنى لنفسهِ وامتهِ ملكًا عزيز الجانب مغدق الخير . اعتبر ذلك ببعض ملوك الهند وملك اليابان و بعض امرائها وامير الافغان

وقد تقدَّم وصف امير الافغان المنتقل الى رحمة مولاهُ وما امتاز بهِ من الحزم وعلو الهمَّة

والسعي في مصلحة الرعية . ولقد كان من اول اغراضهِ ان يرشح احد ابنائهِ للقيام باعباء الملك من بعدهِ فرشح لذلك بكرهُ حبيب الله وكتب في هذا الصدد يقول " ان كل اهل بيتي وكل اهل بلادي يعرفون ان ابني الا كبر حبيب الله هو المرشح للملك من بعدي " . وقد تمَّ ذلك الآن وتربع الامير حبيب الله على عرش الامارة وهو في عنفوان الشباب لا يتجاوز عمرهُ الثلثين عاماً وله المام بسياسة البلاد وادارة شؤونها . وقد رُشِّح لذلك في عهد ابيهِ فتولى مقاطعات كبيرة وناب عنهُ في الامارة . فاذا لم يستطع النهوض بالحمل الثقيل الذي الآن على عاتقهِ لم يكن ذلك من قلة معرفتهِ ولا من عدم خبرتهِ

وما يعرف عن حبيب الله مستمدٌّ اكثرهُ مما كتبهُ ابوهُ عنهُ في تاريخ حياتهِ . من ذلك انهُ ولد بسمرقند سنة ١٨٧٢ حيث كان ابوهُ منفياً وامهُ بنت امير بدخشان وهو اكبر اخوتهِ الاحياء اما اخوهُ نصر الله الذي زار اوربا منذ خمس سنوات فاصغر منهُ بسنتين . وقد ولاهُ ابوهُ كابول لما خرج لقتال ايوب خان وكان فتىً وولاَّهُ اياها ثانية لما خرج لقتال اسحق خان سنة ١٨٨٨ فاحسن ادارتها ومدحهُ ابوهُ بعد عودتهِ قائلاً

" اني بعد ما رجعت من الحرب رأيتهُ تولى ادارة البلاد بما لا مزيد عليهِ من الدراية والذكاء وادار شؤونها طبق مشورتي وحسب رغائبي فانعمت عليهِ بنشانين الاول جزاء حسن ادارتهِ للامارة والثاني جزاء اجتهادهِ في قمع الفتنة التي اثارها جندي . فقد ابدى فيها بسالة خارقة اذ امتطى جواده وخاض صفوف الثائرين غير هياب ولا وكل "

ثم انابهُ عنهُ في المقابلات الرسميَّة واوعز الى باقي بنيهِ ان يذهبوا بعد مقابلتهم المعتادة لهُ في كل اسبوع الى اخيهم حبيب الله ويزوروهُ في قصرهِ الخاص . فترى من هذا ان الامير عبد الرحمن لم يقر على اختيارهِ ابنهُ حبيب الله وارثاً لامارتهِ الاَّ بعد ما قضى وقتاً طويلاً في اختبار اهليتهِ وامتحان كفاءتهِ لهذا المنصب الخطير . ولما وجدهُ اهلاً لذلك لم يعلن قصدهُ هذا لكي لا يهيج الاحقاد ويعرض حبيب الله لاخطار الدسائس والمكايد بل ابقاهُ مكتوماً وجعل اهالي الافغان وغيرهم يفهمون مرادهُ من تلقاء انفسهم وتدرج فيهِ شيئاً فشيئاً حتى مهد لهُ السبل واحاط بما يدفع الحذر وينفي الخطر

مثال ذلك انهُ أخذ في آخر سني حياتهِ يتلقى انباء امارتهِ من قاصيها ودانيها كبيرها وصغيرها على يد حبيب الله وجعل على يدهِ ايضاً يصدر كل اوامرهِ واحكامهِ الى الحكام والنواب والقادة والضباط . ومنذ نحو خمس سنين القى اليهِ مقاليد خزينة الامارة وجعلهُ قيماً على بيت مالهِ اظهاراً لائتمانهِ لهُ وثقتهِ بهِ ثم ولاهُ رئاسة محكمة الاستئناف العليا . ومع كل

هذا الانعام الشامل الذي ناله حبيب الله من ابيهِ ظل سلوكهُ مجلى نزاهة نفسهِ ومظهر سلامة ذوقهِ فانهُ بقي واقفاً عند الحد الذي رسمهُ لهُ ابوهُ لم يتجاوزهُ قيد اصبع ولا حدثتهُ نفسهُ بالطموح الى ما وراءهُ . ولم يداخل اباهُ في شؤونهِ ولا تفرَّض لامرٍ لم يدعهُ اليهِ

ومن القواعد الاساسية التي بنى الامير عبد الرحمن سياستهُ عليها ان يصل أُسرتهُ عموماً وولي عهدهِ خصوصاً باشرف البيوت في امارتهِ . فحبيب الله ابو عائلة كبيرة منذ الآن وسيكون لبنيهِ في المستقبل شأن عظيم في تاريخ افغانستان . ولاكثرهم خطيبات اختارهن لهم الامير عبد الرحمن من اشرف فتيات الافغان

ومما لا يحسن اغفال ذكرهِ ان الامير عبد الرحمن ظل مع اعتمادهِ على الامير حبيب الله في كثير من شؤونهِ مستأثراً بامر واحد الى آخر حياتهِ ولم يشاركهُ ابنهُ فيهِ وهو السياسة الخارجية . فقد كان حبيب الله يقضي كل يوم ما عدا يوم الجمعة متنقلاً في دوائر الحكومة من دائرة الى اخرى من شروق الشمس الى مغيبها . ولكن اسرار السياسة الخارجية ظلت مكتومة عنهُ ومدفونة في صدر ابيهِ . ولعلهُ اطلعهُ عليها قبيل وفاتهِ . ويقال ان من الامور التي اوصاهُ بها ان يتوخى محالفة بريطانيا العظمى يوم يجلس على سرير الامارة فانها قوام ثباتهِ ودعامة امارتهِ كما قال في كتابهِ

وقد حاز الامير حبيب الله من انكلترا وسام القديس ميخائيل والقديس جورج من الطبقة الاولى . وشمل النزالة الانكليزية في كابول بالرعاية والاكرام . وجملة القول فيهِ ان اباهُ تركهُ بعدهُ خير خلف للامارة فاذا تحرى ترقية شعبهِ واصلاح حال رعيتهِ وسيَّر امارتهُ على سنن التقدم والارتقاء وجعل العدل اساساً للاحكام ومصدراً للامر والنهي في الامة نال من اعلاء شأنها ما تمناهُ وحمد الناس مبدأ حكمهِ ومنتهاهُ

ولم يكد نعيُ ابيهِ وخبر توليهِ ينتشر في امارتهِ حتى وفد الولاة والعظماء الى كابول لمبايعتهِ وشمل السرور جمهور الرعية لانها وان كانت تكرم المرحوم اباهُ وتعلي شأنهُ لانهُ رفع منار الافغان واعلى اسمها بين الممالك الاَّ انهُ كان شديد البطش بعيداً عن الملاينة اما الامير حبيب الله فاقرب منهُ الى الدعة واللين ولا يقل عنهُ حزماً وحسن ادارة . وقد يخشى من ان يقوم عليهِ بعض الذين كانوا ناقمين على ابيهِ واقعدهم عن القيام ما يعلمونهُ من شدة بطشهِ لكن الامير حبيب الله تدارك ذلك فعزز الحاميات حيث يخشى خروج القبائل . وكان المرحوم ابوهُ يقول ان عندهُ مئة الف جندي مدرَّب وهذه الجنود خاضعة كلها للامير حبيب الله تأتمر بامرهِ كيف شاء فلا خوف من ثورة في البلاد الاَّ اذا اوقد نارها الخارجون عنها